

المحافظة على خزانات الماء قلع العهد الروماني بولاية سكيكدة وتأثيرها الإقتصادي والاجتماعي على المنطقة

د(ة). فاهمة شابلي

جامعة يحي فارس المدينة-الجزائر

ملخص:

الماء عنصر شاءت إرادة الله عز وجل أن يدخل في تركيب كافة أشكال الحياة على هذه الأرض، مصداقاً لقوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» سورة الأنبياء، الآية 30. إن براعة الرومان في توفير الماء و استغلاله لا يمكن غض البصر عنه، ذلك لما تركوه من آثار ومنشآت لتجميع الماء، نقله ثم تخزينه و توزيعه فيما بعد، وفي روسيكاد ما تزال هذه المباني شاهدة على وجود شعوب روما و استقرارهم بها، إذ نلاحظ استغلال مصادر المياه المتوفرة في المدينة سواء المجاري المائية أو الينابيع أو المياه الجوفية التي تم الاستفادة منها عن طريق حفر الآبار. و حتى يتم استغلال المياه و العمل على توفيرها بشكل يضمن تمويل المدينة على مدى بعيد لابد من الاحتفاظ بأكبر كمية ممكنة مما تطلب إنشاء عدة مباني مائية مختلفة الأحجام و الأشكال.

الكلمات المفتاحية: الماء، تأثير الماء على المجتمع، معالم الخزانات بسكيكدة.

Abstract:

Water is essential to every being on the earth. The city of Skikda has several water tanks and their construction history dates back to the Roman times. These water tanks are considered as the lifeblood that determines the socio- economic life of the city.

It is certain that these tanks, built by the Romans for the storage of rainwater and natural sources, are of historical and urban significance.

The Romans well exploitation of water sources which were available in the city; such as, waterways, water sources, or groundwater was done through building wells in a way that guaranteed water provision to all the city at a long term, so it was necessary to preserve as much water as they could, the thing which required building a lot of water different in size and shape.

Keywords: water, water tanks in Skikda , socio -economic impact of water.

مقدمة:

إن المتتبع لمراحل التاريخ والمتجول في أنحاء عدة من بلدان شمال إفريقيا يقف على حقيقة ملموسة لا يمكن إخفاؤها وهو احتضانها لحضارة كبيرة تركت آثارا بقيت شاهدة على كينونتها التاريخية والأثرية، ومازالت تشهد عليها تاركة بصماتها في المباني الأثرية. وقد تناوبت مختلف الحضارات على ولاية سكيكدة وشربت من ماء شطآنها على امتداد العصور. فلم تعرف شعوب ما تطورا و توسعا إلا سددت هذه المنطقة ضمن أهدافها و جعلت من ساحلها أحد أهم موانئ تبادلاتها التجارية لتبني مجد حضورها وخلودها. وهكذا كانت هذه الولاية تأخذ في كل مرة شكل ونمط الحضارة التي تنمو بها، وتعكس أرجاؤها وأبنيتها مدى التحضر والازدهار الذي وصلت إليه تلك الشعوب.

تقع ولاية سكيكدة في الجهة الشرقية للجزائر العاصمة، تطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتبعد عن العاصمة بحوالي 500 كلم من الشرق منها، أما من الغرب تبعد عن مدينة عنابة بحوالي 110 كلم، من الجنوب تبعد عن مدينة قسنطينة بحوالي 87 كلم، و قد سميت في القديم "روسيكاد" والملاحظ أنها كانت تحتل موقعا هاما كونها قريبة من "سيرتا".

يوجد بسكيكدة تسعة عشرة خزاناً رومانيا، ثلاثة منها كبيرة بسطورة، وثمانية آبار رومانية أخرى بالجهة العلوية بسطورة، وسبعة آبار رومانية تقع بمرتفعات مدينة سكيكدة، بينما يتواجد بمنطقة عين الرومان بقلعة خزان روماني واحد.

من المؤكد أن تلك الخزانات التي أقامها الرومان لتجميع مياه الأمطار ذات قيمة أثرية، وأهمية تاريخية، وتأثير كبير لا يمكن تجاهله على الإطلاق، حيث أنها تعرفنا بعدد سكان سكيكدة أثناء تلك الحقبة، وتبرز الأهمية التي كان يحتلها ميناء سطورة آنذاك، كما تكشف أن المنطقة خلال التواجد الروماني لم تكن تعاني من أزمة المياه.

1- أهمية الماء:

الماء عصب الحياة فأينما وجد الماء وجدت الحياة وهو سر بقاء ونمو ورقي الكائنات الحية، وقد أصبح موضوع المياه من أهم المواضيع التي تأخذ أولويات تفكير مخططي استراتيجيات التنمية، وتزداد الحاجة إلى المياه يوما بعد يوم، نتيجة للتزايد المستمر على طلب المياه بفعل التقدم الحضاري والتكنولوجي، وارتفاع المستوى المعيشي، وزيادة المساحات الزراعية، والتزايد الطبيعي لتعداد السكان، وكل هذا يشير إلى استهلاك مائي متزايد.

إن أهمية الماء للإنسان في ميدان الزراعة شيء طبيعي، لكن لا نتوقف أهميته عند هذا الحد، فهو المكون الأساسي للخلية الحية، والعنصر المكون للحياة، فكل شيء يحيا بواسطة الماء، حتى أن بعض العلماء يعرفون الحياة بأنها ظاهرة مائية.⁽¹⁾

⁽¹⁾ أحمد، غريبي، بوكبوس، سعدون، إشكالية المياه في الجزائر، مذكرة الماجستير في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 2002، ص 10-18.

الماء أحد الموارد الطبيعية المتجددة على كوكب الأرض، وهو أحد عوامل نشأة حضارة الإنسان وتطورها، حيث استطاع الإنسان استخدامه في الإنتاج والاستهلاك وتوليد الطاقة، والاستفادة منه في نشاطه الاقتصادي.

لقد بين القرآن الكريم أهمية الماء في الحياة، وأرشدت السنة النبوية إلى طريق الاقتصاد فيه والوسطية في استعماله، إذ وردت كلمة الماء في القرآن الكريم في ثلاثة وستون موضعا، ولفظ الأنهار في خمسة وأربعون موضعا أما البحار فقد ورد ذكرها في واحد وأربعون موضعا، وجاء ذكر السحب في تسعة مواضع، وهذا يدل على أهمية الماء في القرآن الكريم إذ جاء فيه أنّ الله تعالى: جعل من الماء كل شيء حي، وخلق منه كل دابة.

الماء ليس مانحا للحياة فحسب، بل إنّ كل شيء حي هومن الماء، قال الله جل جلاله "و جعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون"، (الأنبياء، 30)⁽¹⁾. تتجلى حكمة الخالق سبحانه وتعالى في أن جعل الماء أساسا لحياة الأمم على سطح الأرض. وأن كمية الماء الموجودة على سطح هذا الكوكب ثابتة كما يقول الله في كتابه الكريم "والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشربنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون"، (الزخرف، 11)⁽²⁾، ويحث القرآن على تجنب هدر أي مورد من الموارد بما فيها المياه.

كما حثت السنة النبوية على حماية الماء والحفاظ عليه، وعدم تلويثه، كما نهى النبي على عدم منع الماء حتى لا يؤدي هذا المنع إلى الإضرار بالإنسان

⁽¹⁾ القرآن الكريم.

⁽²⁾ القرآن الكريم.

والحيوان والنبات، ومن أهمية الماء أيضا أن النبي كان يقوم بالدعاء وقت هطول المطر.⁽¹⁾

بالإضافة إلى ما جاء في القرآن ورد ذكر الماء في الكتب السماوية الأخرى (التوراة و الإنجيل) في عدة أماكن وفي صور متعددة، إذ شبه بصفاء القلب وبالبركة والخير وبسائل الحياة، كما أشير إليه بأنه سائل الطهر و النظافة.²

2- الماء و الإنسان عبر التاريخ:

لقد بنى الفراعنة أول خزان موسمي في التاريخ (في عهد أمنحتب الثالث)، واستخدموا أدوات رفع المياه كالشادوف والساقية، فإن البابليين كان لهم الفضل في ظهور أول نص قانوني مكتوب ينظم استعمال المياه، فقد ورد في شريعة حمورابي النص التالي "إن الماء يستعمل بالدرجة الأولى لشرب الإنسان والحيوان، والاستعمال المنزلي، ثم الري و الملاحة"⁽³⁾ كما عرف الفرس والإغريق والرومان المياه كمصدر للطاقة لإدارة الطواحن، كما سجل الأنباط في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، أعمالا هندسية مبدعة في تاريخ الري، حيث أقاموا الخزانات، ضخوا المياه الجوفية، وحفروا البرك، و قد بني سد مأرب في اليمن قبل الميلاد بثمانية قرون لدرك الفيضان وتجميع المياه.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، الماء وأثره في الحياة وفي حضارة البلدان

المغربية، ص 40.

⁽²⁾ نفسه، ص 40.

⁽³⁾ سامر، مخيمر، خالد، حجازي، المرجع السابق، ص 13.

⁽⁴⁾ نفسه، ص 13.

للماء دور حيوي في تقدم وبقاء الحضارة الإنسانية وقد نهضت الحضارات الأولى في وديان الأنهار الكبيرة، في واد النيل، في مصر وشمالى السودان، و"وادي دجلة والفرات" في بلاد ما بين النهرين، و"وادي السند" في الهند وباكستان، و"وادي هوانج" في الصين، وأنشأت كل هذه الحضارات أنظمة مياه لاستمرارها باعتباره العنصر الحيوي للحياة، إن الماء هو قوام الحياة لأي مدينة، كان دائماً وسيبقى كذلك وقد انهارت الحضارات عندما أهملت موارد المياه أو عندما أساء الناس استخدامها.

ترتبط سمعة روما الإمبراطورية بالمدرجات والصروح، فأسلوب البناء أو السياسية الإمبراطورية لم تكن هي السبب في رفاهية مواطنيها إنما القنوات التي تنقل الماء من المرتفعات خارج المدينة إلى قلبها، وكان سببا واضحا على حسد الكثيرين من الإمبراطوريات الضخمة على مخزونها المائي، حيث أن المهندس الذي كان في يوم من الأيام مسؤولاً عن تزويد روما القديمة بالماء قال: "إن بعض البنايات الضخمة ليس لها فائدة عملية، فهذه المباني لا يمكن مقارنتها بقنوات جر المياه". وكان مهندسو الإمبراطورية الرومانية يوجهون الأنهار الصناعية إلى قلب المدينة لتزويدها بالماء يكفي أكثر من ألف ومأتي نافورة، وأكثر من ألف حمام عمومي، وثلاثة أرباع مليون شخص".

إن الأهمية التي تكتسبها المياه بالنسبة لحياة الإنسان والنبات ثم الحيوان، جعلت منها موضوع عبادة ويكون الأمر طبيعيا أكثر في شمال إفريقيا الذي يتغلب على مناخه الجفاف في كثير من الأحيان، حيث تصبح المياه غير كافية أو نادرة،

مما أعطاهما قيمة مقدّسة منذ أقدم العصور لذلك عبّر الإنسان المغاربي عن حاجته إليه و استداره بطرق مختلفة⁽¹⁾.

وتقدم لنا الآثار في هذا المجال أدلة عديدة من مختلف مناطق المغرب الكبير، تمثل أشكال استمرار هذا التقليد في العبادة. منها ما عثر عليه "ج.ش. بيكار Picard G. CH"^{*} في وسط الحصن الروماني بموقع "مسعد" الأثري "Gastllum Dimmidi" وهي عبارة عن دمية تشخص صاحب الملعقة (بوغنجة) وأسطورته الشعبية التي تتعلق بطلب نزول المطر بالمنطقة، داخل بئر في أسفله بناء خاص بالتعبّد تابع لجيش المعسكرات الرومانية، كما يوجد بها محراب يغطي البئر العتيق. ويدلّ ضيق المدخل وعزلة البئر في عمق الأرض على الاعتقاد بأنه كان يستخدم لممارسة عبادات ذات طبيعة أسطورية.

3- استغلال الماء عند الرومان:

عرف نشاط التموين بالمياه في أرض الجزائر منذ القدم، إذ ارتبط ذلك بوجود التجمعات البشرية و تعدد حاجاتها. وقد اهتم الرومان أثناء تواجدهم في

⁽¹⁾ محمد الصغير، غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، الدولة النوميديّة وعاصمتها، كرتن بين النشأة والهوية، الجزء الثالث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص356.

^{*} باحث فرنسي.

الجزائر بعمليات نقل المياه من الأودية إلى مكان تجمعهم وبناء السدود وصيانتها وانجاز شبكات تحويل المياه والساقية.⁽¹⁾

في روسيكاد ما تزال هذه المباني شاهدة على وجود شعوب روما واستقرارهم بها، إذ نلاحظ استغلال مصادر المياه المتوفرة في المدينة سواء المجاري المائية، الينابيع إضافة إلى المياه الجوفية التي تم الاستفادة منها عن طريق حفر الآبار.

وحتى يتم استغلال المياه والعمل على توفيرها بشكل يضمن تمويل المدينة على مدى بعيد لابد من الاحتفاظ بأكثر كمية ممكنة مما تطلب إنشاء عدة منشآت مائية مختلفة الأحجام والأشكال، إضافة إلى مناطق تواجدها (المدينة والأقاليم التابعة لها). وظهرت هذه المعالم في المدن الرومانية التي أنشأت في شمال إفريقيا على عدة أنواع، كونت شبكة مائية اعتمدها الرومان لتزويد المدينة بالماء.

كانت روسيكادا غنية برخامها وروعة مبانيها لكنها أيضا كانت غنية بالماء، فقد عثر على العشرات من الخزانات المائية بمختلف أحجامها منتشرة في كل مناطق المدينة، فقد وجدت الخزانات الخاصة والخزانات العمومية والآبار وقنوات المياه الأرضية والقنوات المحمولة ونوافير الماء والينابيع، وكلها تدل على مدى تشبع روسيكادا بهذه الثروة التي يظهر أنها استغلت أحسن استغلال في الفترة القديمة، وأيضا حديثا عندما قام الفرنسيون في بداية الاحتلال بترميم بعضها

¹⁾Arrus (R), l'eau en Algérie ; de l'impérialisme au développement (1830 – 1962), office de publications universitaire (Alger), presse universitaire de Grenoble, France, p 29.

واستغلالها مجدداً في حياتهم اليومية، بل إن بعضها لازال مستعملاً إلى اليوم وهو ما سنراه من خلال محاولتنا الحديث عن المنشآت المائية بروسياكاد.

من خلال ما ذكره و وصفه "فناك" Fenech* و "دولمار" Delamare* يتبين أن سكان روسياكاد كانوا يستعملون خزانات خاصة لتخزين حاجاتهم من الماء، وقد كانت هذه الخزانات تستعمل في الوقت نفسه أساساً لإقامة المساكن عليها، وهو نفس الشيء الذي حدث بالنسبة لمعالم عمومية كمعبد فينوس الذي شيد فوق خزانات عملاقة.⁽¹⁾

والظاهر أن هذه الخزانات تحت الأرضية كانت تتزود من مياه الخزانات الكبرى ومن المياه الجوفية ومن خلال الينابيع التي تتميز بها المنطقة، فكثيراً ما كانت تتبع المياه من باطن الأرض خلال أعمال الحفر حتى على مستويات عمق بسيطة، وذلك بسبب وجود المدينة فوق أرضية مساوية تماماً لمستوى سطح البحر. لم نتردنا المراجع إلا بإشارات خاطفة عن وجود هذه الخزانات، ما عدا ما قدمه "دولمار" delamare و "فار" Vars* حول اكتشاف لحافة بئر مصنوعة من الرخام الأبيض سنة 1891م لازالت تحمل آثار الاحتكاك الناتج عن سحب السلسلة أو الحبل مع وجود تقويع محاور البكرة عليها⁽²⁾، أو ما أورده "فناك" fenech عن وجود هذا النوع من الخزانات على السفح الشمالي لبويعلى، وما أشار إليه

* باحث فرنسي.

** باحث فرنسي.

¹⁾ Arrus (R), Op. Cit, p30.

* باحث فرنسي.

²⁾ Vars (Ch), Rusicade et Stora dans l'antiquité, Alger, 1896. p 67.

"دومارسيي Demarceily" كذلك قائلا " عثرنا على العديد من الخزانات صغيرة الحجم عموما وأيضا أساسات مباني اقل أهمية على المنحدر الغربي لجبل سكيكدة أسفل مبنى المستشفى العسكري "⁽¹⁾ في مقابل ذلك كثر الحديث عن الخزانات العمومية ذات الحجم الكبير مضافا إلى ذلك أن بعضها لا يزال ماثلا أمامنا إلى اليوم وشاهدا على البراعة الرومانية في استغلال هذه الثروة الحيوية وهي:

خزانات بويعلی:

في الاتجاه الشمالي الغربي من المسرح الروماني وعلى حوالي مسافة 500 م توجد مباني الخزانات العمومية حيث يبعد كل واحد منهما عن الآخر حوالي 120م. احد هذه الخزانات يأخذ شكلا اهليلجيا بطول 52م وعرض 37.50 م، مقسم إلى سبعة أحواض ذات أشكال مختلفة بعمق 10.60 م، إن اكبر هذه الأحواض هو الحوض الواقع بالجهة الغربية، وهو الذي تم تجهيزه بمصفاة كانت ترتكز على ويستقبل مياه القناة مباشرة⁽²⁾. وتر قوسه بطول 23.65م، يفصل بينه وبين الحوضين اللذين يليانه جدار بسمكه 1.50م، هذان الحوضان ذوا شكل مستطيل، نلاحظ أن المستطيل الجنوبي منتظم الشكل بأطوال (12.40م × 10.50م)، بينما أجريت تعديلات هندسية على جدار المسند إلى الهضبة في المستطيل الجنوبي، هذه التعديلات نجدها في الواقع على امتداد كامل الجدار الجنوبي للمعلم ككل،

¹⁾De Marcielly, Notice sur les vestiges de l'occupation romaine dans le cycle de Philippe ville, in R.S.A.C, 1953.p27

²⁾Fenech (E.V), Histoire de Philippeville, Philippeville ,1852, p 27.

وتتمثل في أشكال نصف دائرية بنيت بشكل مكثف من أجل مواجهة ثقل الأرض الناجم عن بناء الخزان على المنحدر⁽¹⁾.

يلي هذين المستطيلين مستطيل أكبر (15.90م×9.20م) يسنده حوض بيضاوي الشكل (9.9م×6م) ولإتمام الشكل الاهليلجي هناك حوض سادس يقترب من نصف الدائرة (16م×8.70م) وأخيرا حوض صغير مثلث الشكل (6م×4م).

تتصل هذه الأحواض فيما بينها بواسطة فتحات كبيرة (2م×1.30م) تم تهيئتها في عمق الجدران كي تسمح أيضا بانتقال الأشخاص في كل أرجاء المعلم خلال أعمال الصيانة⁽²⁾.

يوجد مأخذ المياه أسفل بئر بني في شمال حوض البيضاوي، هذه البئر له نفس العمق ومخرقة بقناة من الرصاص تفتح بواسطة صنبور، لتتواصل على مسافة 120م في الاتجاه الغربي الشمالي الغربي مع خزان آخر عملاق بأطوال (60م × 30م). أضيفت لهذا المعلم خلال عملية الترميم التي جرت سنة 1845م سبع قباب⁽³⁾، وأعيد استعماله في تزويد المدينة بالمياه خلال الفترة الأولى للاحتلال، ولا زال موجودا في حالة حفظ جيدة إلى اليوم إلا أنه لم يعد مستعملا بسبب انعدام الصيانة وأيضا بسبب خلق شبكة مياه جديدة بالمدينة.

الخزان الثاني على العكس من الأول ذو شكل مستطيل وغير مقسم. مقاسات فضاءه من الداخل (52.45م×25م)، دعمت جدرانه الداخلية على

¹⁾ Fenech (E.V), Op.cit, p26.

²⁾ Vars (Ch), op.cit. P 69

³⁾ Ibid. P 69.

امتداد كل 6.50م بدعامات كبيرة أما القبة المضلعة فقد كانت تتركز على أربعة أعمدة تتوسط فضاء الخزان⁽¹⁾.

هذا الخزان كان هو الآخر قد استفاد من عملية ترميم في فترة الاحتلال لاستعماله لنفس الغرض ولا زال مستعملا إلى اليوم إلا انه يتغذى من مصادر جديدة.

تتزود خزانات بويعل من مياه "وادي بني مالك" و تحديدا بمنطقة "سيدي احمد" بواسطة قناة أرضية يصل طولها إلى 3580م محاذية سفوح المرتفعات الغربية لبويعل شكل يضمن لها الحفاظ على الانحدار اللازم من اجل إيصال المياه، كما أنها كانت مزودة بفتحات من اجل التهوية وأعمال الصيانة⁽²⁾.

هذه القناة كانت بعض مقاطعها واضحة للعيان في السنوات الأولى للاحتلال، ويذكر "شاباسيار Chabassies"^{*} أنها موجودة كذلك سنتي 1847م و1848م لكننا لا نجد لها أثرا اليوم، بينما لا زالت معالم نقطة تجميع الماء قائمة⁽³⁾.

كانت خزانات بويعل موصولة بخزان ثالث كبير الحجم هو الآخر، هذا الخزان مازال موجودا ومستعملا لكن ليس لنفس الغاية الذي أنشأ لأجله، فبعد أن

¹ Ibid. P 69

² Chabassiere (J), Bertrand (L), Rusicade d'après ses ruines , Extrait du bulletin de l'Académie d'Hippone, n° 31, BONE, 1904,p18.

^{*} باحث فرنسي.

³ Fenech (E.V), Op. cit. p 25.

استعمل اثر ترميم بعد أجزاءه في فترة الاحتلال كمستودع عسكري هاهو اليوم يستعمل لغرض أكثر نبلا لكن دونما عناية بهذا المعلم المتميز .

هذا الخزان الواقع شمال المدينة مقابل النزل البلدي والذي يشكل أساسات مبنى المركز الثقافي "شيلي أحسن" يستعمل اليوم "كمتحف بلدي" وذلك منذ سنة 1987م، أثر اكتشاف عرضي لمجموعة متحفية ثمينة جدا بعد انهيار احد المباني.

يتكون هذا الخزان المستطيل الشكل (32م × 15م) من سبعة أقسام، عرض كل قسم 3م ويفصل بينها جدران بمتوسط سمك 1.25م وارتفاع الجدران حتى أسفل القبة 6.50م¹ هذه هي الخزانات الواقعة بالجهة الغربية من المدينة، بالإضافة إلى الخزانات التي سبق الحديث عنها والتي وجدت أسفل مبنى المسرح الجهوي.

كما وجدت بالجهة الشرقية للمدينة بعض الخزانات الأخرى، ويبدو أن أحدها يتواجد حيث تجري حاليا أعمال توسيع مسجد "عبد الحميد ابن باديس"، ويمكن التأكد من ذلك بالنظر إلى سمك الجدران الضخمة والذي يزيد عن المتر، كما أن توزيع البقايا الأثرية على مساحة شاسعة ووجود الجدران بشكل متوازي كل 3م إلى 4م يحمل على الاعتقاد بأن الأمر يتعلق فعلا بخزان مائي كبير .

على غرار المدينة فقد وجدت بمنطقة سطورة منظومة للمياه شبيهة بمنظومة مياه المدينة وقد تميزت بنفس الضخامة ونفس التقنية أيضا، بحيث أن

¹) Vars (Ch), Op. cit. p 70.

خزانات سطورة كانت تتغذى من مياه احد الأودية التي تجري خلف المرتفع الذي يعلو الميناء على ارتفاع حوالي 120م عن سطح البحر، ويعرف الوادي حيث وجدت نقطة تجمع الماء باسم "وادي شادي".⁽¹⁾

وقد قام "دولمار Delamare" بإعداد مخطط كامل عن هذه المنظومة سنة 1840م، انطلاقا من مصدر المياه ، كما انه قدم لنا تفاصيل مهمة لاحقا أثناء الأعمال التي جرت سنة 1842م من اجل إعادة استعمال هذه المنظومة من طرف الهندسة العسكرية الفرنسية بعد أن استعملت الخزانات أولا كملجأ للعساكر، قبل أن تدعو الحاجة إلى ضرورة استعمالها لغايتها الأولى بسبب عدم قدرة الجنود على احتمال المكان وكذلك بسبب المعاناة التي كان يجدها الملاحون في التزود بالماء⁽²⁾.

تأخذ الخزانات والتي ما تزال مستعملة إلى اليوم، لكنها تتغذى من مصدر جديد، شكلا مستطيلا (29م × 25م)، ارتفاعها تحت القبة 14,50م ، قسم فضاءها الداخلي إلى ستة أقسام متناسبة الحجم، بحيث تصل طاقة استيعابها إلى 3750م³، وقد وجدت في حالة جيدة إلى درجة أن أعمال الترميم لم تكد تغير شيئا في شكلها الأصلي، إلا الفتحات التي يذكر "دولمار Delamare" أنها لم تكن

¹⁾Delamare, (A.H.A.), exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840- 1845, Archéologie, Paris, 1850,p176

²⁾ Ibid, p 176.

موجودة والتي تم تهيئتها في عمق الجدران التي تقسم فضاء الخزان خلال أعمال الترميم⁽¹⁾.

في الاتجاه الجنوب الغربي وعلى مسافة 160 م وجد خزان آخر لكنه اصغر حجما (15,9م × 60,4م) من الداخل، أما الارتفاع فهو 9م، لكنه اختفى اليوم في خضم العمران ولم يتسن حتى معرفة مكان تواجده على وجه الدقة، هذا وقد كان هذا الخزان يتصل والخزانات الكبرى بمبنى آخر قرب الميناء لا تزال بعض أثاره ماثلة إلى اليوم، ويحتمل أن يكون هذا البناء الضخم والمقرب والذي يطلق عليه حاليا القبة الرومانية عبارة عن نافورة كبرى كما يعتقد ذلك "رافوازي" Ravoisie⁽²⁾.

4- طبيعة الممتلك الأثرية (الخزانات):

يعود تاريخ بنائها إلى الفترة الرومانية، وتعتبر هذه الخزانات العنصر الحيوي لإقامة مدينة رومانية.

خزانات سطورة الرومانية الثلاثة تعد من بين أهم المعالم الأثرية التي تزخر بها سكيكدة، والتي هي عبارة عن مواضع لتخزين المياه، تم انجازها خلال الفترة الرومانية مباشرة، أي بعد استقرار الرومان بسكيكدة حوالي 44 قبل الميلاد.

¹) Delamare, (A.H.A.), op.cit, p 182.

* باحث فرنسي.

²) Delamare, (A.H.A.), Op. Cit, p 184.

يوجد بسكيكة تسعة عشر خزاناً رومانياً، ثلاثة منها كبيرة بسطورة، ثمانية آبار رومانية أخرى بالجهة العلوية بسطورة، وسبعة آبار رومانية تقع بمرتفعات مدينة سكيكة، بينما يتواجد بمنطقة عين الرومان بفلفة خزان روماني واحد.

من المؤكد أن تلك الخزانات التي أقامها الرومان لتجميع مياه الأمطار ذات قيمة أثرية، وأهمية تاريخية لا يمكن تجاهلها على الإطلاق، خاصة وحيث أنها تعرفنا بعدد سكان سكيكة أثناء تلك الحقبة، وتبرز الأهمية التي كان يحتلها ميناء سطورة آنذاك، كما تكشف أن المنطقة خلال التواجد الروماني لم تكن تعاني من أزمة المياه. وهذه الخزانات هي الفريدة من نوعها في الجزائر إضافة إلى التي ببجاية، وهي من الخزانات المنفصلة والضخمة، ومقسمة إلى عدة أحواض من الداخل، شأنها في ذلك شأن العنابر ذات الجمالية الذاتية والتكاملية العنصرية.

5- مدخل الحفظ والصيانة:

إن الخزانات الرومانية اليوم في حالة تلف فائقة، إذ تهدمت كل معالم خزان فلفة، حيث لم تبقى منه سوى بعض الواجهات التي هي الأخرى في طريقها إلى السقوط والزوال، وما زاد من زوالها فتح طريق جديد أمامها، أما خزان سطورة وخزان بويعلى المستطيل فهما في حالة حفظ حسنة إذ مازالا يمدان المدينة بالمياه الصالحة للشرب، هذا لا يمنع تعرضهما لعوامل التلف خاصة ضغط المياه أثناء تدفقها، واهتزازات محركات المياه. أما خزان بويعلى سبعة بيار فهو مغلق كلياً هذا ربما من الجهة الجيدة للخزان حيث يحتفظ بمعالمه وهندسته المعمارية من الجهة الداخلية، أما الواجهات الخارجية فهي في حالة تلف بالغة خاصة من الواجهة

الجنوبية التي تتأثر كثيرا بضغط التربة، وعلى هذا الأساس وللحفاظ على هذا الإرث الحضاري، شرعت مديرية الثقافة لولاية سكيكدة في الإلحاح على الوزارة المعنية لإعادة النظر في هذه المعالم التاريخية الهامة، هذا يظهر من خلال طلب مديرية الثقافة المكلفة بحماية الآثار في تصنيف هذه المعالم وحمايتها في إجراء دراسة ترميم للخزانات كمبادرة أولية للحفاظ عليها، وإخراجها من طي النسيان.

6- تصنيف الخزانات (أهمية الأثر):

إن الخزانات الرومانية، كمعلم أثري وتاريخي، لها أهمية معمارية وتاريخية كبرى، إذ تعتبر وثيقة حية نستطيع أن نستنبط منها معلومات هامة في جميع الميادين، خاصة الجانب الاقتصادي، الزراعي والاجتماعي في العهد الروماني، إضافة إلى مواقعها الإستراتيجية بالولاية. وما زاد من أهميتها تزويدها بالماء لسكان الولاية حاليا، حيث كشفت مصلحة حفظ التراث الثقافي بمديرية الثقافة لولاية سكيكدة، أن هذه الأخيرة ستقوم عن قريب بتصنيف الخزان الروماني بسطورة، الذي يعود إلى الفترة الرومانية الأولى، والذي يوجد في وضع كارثي للغاية بفعل عوامل الزمن و الإنسان معا، وذلك بعد حل إشكالية العائلة التي ما تزال تقطن بداخله من جهة، ومن جهة أخرى تحويل حظيرة البلدية التي تحتل جزءا منه إلى مكان آخر. كما كشفت مديرية الثقافة لولاية سكيكدة في إطار برنامج 2010م الخاص بعملية ترميم المعالم الأثرية بولاية سكيكدة، إدماج الخزانات الرومانية، كما سجلت الوزارة عمليات استعجالية تتمثل في ترميم هذه الخزانات.

7- تأثير الماء علاج الشعوب و الأمراض:

تتأثر المجتمعات بصفة مباشرة بالمياه حيث تعاني بنسبة كبيرة من الجفاف بشكل مستمر من انخفاض هطول الأمطار عن المعدل الطبيعي له، ومن الممكن أن يكون للجفاف تأثير كبير على كل من المنظومة البيئية والزراعة في المنطقة المتضررة، وعلى الرغم من أن فترات الجفاف قد تستمر لسنوات عديدة، فإن فترة قصيرة من الجفاف الشديد كفيلة بإلحاق أضرار كبيرة وإنزال خسائر بالاقتصاد المحلي، ولهذه الظاهرة العالمية تأثير واسع النطاق في مجال الزراعة. ومن المعروف فترات الجفاف الطويلة هي الدافع الرئيسي للهجرة الجماعية ، فهي تلعب دوراً رئيسياً في حدوث عدد من الهجرات المستمرة كما أدت فترات الجفاف المتكررة إلى حدوث كوارث بيئية خطيرة، كالمجاعة ونقص حاد في الغذاء، والكوارث الإنسانية الأخرى.⁽¹⁾

يؤدي الجفاف أيضاً إلى التقليل من نوعية المياه، وذلك لأن انخفاض منسوب المياه يساعد في زيادة تركيز المواد الملوثة، ومنه زيادة نسبة التلوث في المصادر المائية المتبقية، ويحدث الجفاف من منظور علم الأرصاد الجوية عندما تتخفض كمية الأمطار الساقطة على منطقة ما عن المعدل الطبيعي لها لفترة طويلة، والجفاف الهيدرولوجي عندما ينخفض احتياطي المياه في مصادر المياه مثل الطبقات الصخرية المائية والبحيرات، وغيرهما من أماكن تخزين المياه الأخرى، عن المعدل الطبيعي له.

⁽¹⁾ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، المرجع السابق، ص23.

ونظراً للأهمية البالغة للماء، وباعتباره عنصر استمرارية الحياة فقد أولى أهمية بالغة في كل أنحاء العالم، فقد أعلنت الجمعية العامة يوم 22 مارس اليوم العالمي للمياه (القرار 193/47 المؤرخ 22 ديسمبر 1992م) ويرمي هذا الاحتفال إلى زيادة الوعي بمدى إسهام تنمية موارد المياه في الإنتاجية الاقتصادية والرفاه الاجتماعي⁽¹⁾.

وفي سنة 2003م أعلنت الجمعية العامة سنة دولية للمياه العذبة ودعت الدول ومنظومة الأمم المتحدة والجهات الفاعلة الأخرى إلى الاستفادة من السنة للتوعية بأهمية المياه العذبة (القرار 196/55)، وشجعتها على مواصلة جهودها (القرار 252/57)، كما شجعت الجمعية الدول الأعضاء ومنظمة الأمم المتحدة والمجموعات الرئيسية على تعزيز العمل على الصعيد المحلي والوطني والإقليمي والدولي، ودعت إلى إعطاء الأولوية إلى المشاكل الخطيرة المتعلقة بالمياه العذبة والتي يواجهها العديد من المناطق خاصة البلدان النامية، ومدى تأثيرها عليه وتشكل المياه التحدي الأساسي للشعوب والحكومات حول العالم في القرن الحادي والعشرين، حيث أطلق عليها مصطلح "الذهب الأزرق"⁽²⁾.

كون المياه آخذة في التراجع كماً ونوعاً بسبب تنامي الطلب عليها وبسبب ما يلحقه بها النشاط البشري، اجتماعياً واقتصادياً، من استغلال متزايد وتلوث يهدد منابعها، والخوف الكبير هو ألا تعود مصادر المياه كافية لتلبية حاجات كل البشر في مستقبل ليس ببعيد قياساً بعمر الدول والمجتمعات، وتؤكد تقارير المنظمات

⁽¹⁾ منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، المرجع السابق، ص 23.

⁽²⁾ نفسه، ص 23.

المعنية في الأمم المتحدة أن حصة الفرد من المياه تراجعت بنسبة 50% في العقود السبعة الأخيرة، إذ تضاعف عدد السكان ثلاث مرات وتضاعف الطلب على المياه 6 مرات وتشير الأمم المتحدة في أحد تقاريرها إلى أن 1.1 مليار شخص في العالم لن يتمكنوا من الوصول إلى مياه الشرب في عام 2030م وأن 2.4 مليار شخص سيعانون نقصاً في المياه الصحية الملائمة، وفي التقديرات أيضاً أن كلفة العناية الصحية حول العالم ستصل سنوياً إلى 300 مليار دولار بسبب المياه غير الصحية، وأن 5 ملايين شخص سيموتون بسبب أمراض متصلة بمشاكل المياه، أي 10 أضعاف عدد الذين سيموتون بسبب الصراعات المسلحة، كذلك تقدر أن 80% من الأمراض والوفيات في الدول النامية سيكون سببها عدم القدرة على الوصول إلى مياه صحية، وأن 90% من المياه في هذه الدول هي رسوبية وأن الملوثات الصناعية تلوث المياه القابلة للتجدد⁽¹⁾.

كما أن ازدياد الطلب على المياه في النشاطات الصناعية والزراعية والخدمات والسياحة، ومع ازدياد المساحات المزروعة لتلبية الحاجة الغذائية، وأن عدداً من الدول الصناعية بدأت تلجأ إلى بعض أنواع الزراعات العضوية لاستعمالها كوقود بدلاً من المحروقات. أمام هذا الواقع، كان على دول عديدة اللجوء إلى تقنيات تحلية مياه البحر للترؤد بالمياه العذبة، رغم ارتفاع كلفتها مقارنة مع التزود بالمياه بالطرق التقليدية. ويقدر عدد السكان الذين يتزودون اليوم بالمياه

⁽¹⁾ منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم والثقافة (اليونسكو)، المرجع السابق، ص23.

المحلاة في العالم ما بين 100 و155 مليون شخص أو ما يقارب 0.7% من سكان العالم ومعظمهم يعيش في مناطق قاحلة أو جافة⁽¹⁾.

الجزائر كغيرها من دول العالم تعاني أيضا من أزمة نقص المياه في المستقبل، ويمكن تطبيق هذه الملاحظة على أحد ولاياتها وهي ولاية سكيكدة التي تقدر مساحتها بـ 4137.68 كلم²، ويبلغ عدد سكانها حوالي 205.000 نسمة، ونظرا لمناخها شبه القاري فيتطلب دراسة معمقة لهذا العنصر في القديم، و التعرف على كيفية السيطرة عليه لجعله متوفر لدى جميع السكان في القديم، وتطوير تلك الخطط والمنشآت في الحاضر وإعادة إحيائها، هذا وأن لا تزال بعض منها تستغل حاليا كخزان سطورية وخزان بويعلی المستطيل، بعد ترميمها وإعادة تهيئتها لتصبح صالحة للاستعمال، ولما لا يعاد إعادة النظر في الخزانات الرومانية الأخرى وإعادة ترميمها وجعلها صالحة للاستعمال كخزان سبعة بيار مثلا للتوفير الدائم للمياه خاصة داخل المدينة، فحسب بعض سكان الولاية ومديرية الثقافة فإن المدينة لا يتوفر فيها الماء يوميا.

الخلاصة :

إن ولاية سكيكدة بحكم موقعها الاستراتيجي كانت وما تزال مهدا لكل المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر، وما الشواهد المادية الباقية إلى يومنا هذا، إلا دليلا واضحا على غناها من الجانب التراثي، فهي ذات تراث متنوع نلمسه

⁽¹⁾ نفسه، ص 26.

من خلال المعالم التاريخية سواء منها المدنية والحيوية أو الدينية أو حتى العسكرية.

تعد الخزانات المائية الرومانية بسطورة (سكيدة) شاهدا على الماضي، حيث تبرز أحداث و حضارات الفترة التاريخية التي أنشئت بها، وهي بمثابة وثيقة ثمينة وهامة لا يمكن محوها أو تزويرها مهما كانت نوعية المستندات. فماضي أيّ أمة هو تراثها وحضارتها، وبقاء الشواهد و المعالم التاريخية هو بقاء لأمة كاملة و صامدة، لهذا يحتل الحفاظ على التراث مكانا متقدما في سياق قضايا ولاية سكيدة ووزارة الثقافة الجزائرية.

حاولنا في هذا البحث إبراز مبدأ التموين بالمياه في مدينة سكيدة خلال الفترة الرومانية، فوجدنا أن الرومان اعتمدوا عل مبدأ واحد في كل المدن القديمة في شمال إفريقيا، حيث كانوا يأخذون الماء من مختلف المصادر (الينابيع، المجاري المائية)، ثم ينقلونها إلى الصهاريج التي تمول الخزانات، هذه الأخيرة تزود الأحواض التي تغذي النافورات والمنازل الخاصة.

توجد خزانات سطورة في حالة متقدمة من التلف نتيجة عدة عوامل منها الطبيعية (الأمطار، الرطوبة، العامل البيولوجي)، وعوامل بشرية نتيجة الترميمات الخاطئة، عدم العناية والمراقبة، والاستعمالات غير الملائمة، إضافة إلى العامل الزمني و تداخل هذه العوامل فيما بينها.

وللحفاظ على هذه الأطلال لا يجب علينا اعتبار دراسة الماضي نزوة أو ترفا، إنّها و على النقيض أمر حيوي من أجل الحضر، فماضي أيّ أمة هو تراثها

المحافظة على خزانات الماء في العهد الروماني بولايه سكيدة

وحضارتها، فبقاء الشواهد والمعالم التاريخية هو بقاء لأمة كاملة و صامدة، لهذا
تحتل قضية الحفاظ على التراث مكانا متقدما في سياق القضايا التي تهتم دول
العالم.

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم.

1- المراجع باللغة العربية:

- أحمد، غريبي، بوكبوس، سعدون، إشكالية المياه في الجزائر، مذكرة الماجستير في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 2002م.
- فاهمة شابلي، مسعود حميان، دراسة مواد بناء خزانات الماء في العهد الروماني بولاية سكيكدة من أجل صيانتها وترميمها، خزانات سطورة، بوعلى وفلقة نماذج، رسالة الدكتوراه، تخصص صيانة وترميم، جامعة الجزائر 02، معهد الآثار، 2015م.
- محمد الصغير، غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، الدولة النوميديّة وعاصمتها، كوطن بين النشأة والهوية، الجزء الثالث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، الماء وأثره في الحياة وفي حضارة البلدان المغاربية.

2- المراجع باللغة الأجنبية:

- Arrus (R), l'eau en Algérie ; de l'impérialisme au développement (1830 - 1962) , office de publications universitaire (Alger) , presse universitaire de Grenoble , France.

- De Marceilly. De Marceilly, Notice sur les vestiges de l'occupation romain dans le cycle de philippe ville, in R.S.A.C, 1953.
- Fenech (E.V), Histoire de Philippeville, Philippeville ,1852.
- Delamare, (A.H.A.), exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840- 1845, Archéologie, Paris, 1850.
- Vars (Ch), Rusicade et Stora dans l'antiquité, Alger, 1896.
- Chabassiere (J), Bertrand (L), Rusicade d'après ses ruines , Extrait du bulletin de l'Académie d'Hippone, n° 31, BONE, 1904.